الشخصية من المستوى المحسوس إلى المستوى المجرد في رواية" غدا يوم جديد" لعبد الحميد بن هدوقة

الأستاذة: نبيلة بونشادة

معهد الآداب واللغات

المركز الجامعي- ميلة

تتحقق الشخصية الروائية كوحدة دلالية من مجموع المحمولات السردية المسايرة للمسار القصصي، ذلك أن الشخصية كمورفيم مزدوج التمفصل يتميز بالفراغ الدلالي، حيث لا يحيل على أي معنى مسبق، وفي هذا يقول" فيليب هامون":« إن" السمة الدلالية" للشخصية ليست ساكنة، ومعطاة بشكل قبلي، يتعين علينا فقط أن نتعرف عليها، ولكنها بناء يتم عبر زمن القراءة، زمن المغامرة الخيالية إنها" شكل فارغ" تقوم المحمولات المختلفة بملئها(الأفعال أو الصفات). إن الشخصية هي دائما وليدة مساهمة الأثر السياقي(...) وبناء يقوم به القارئ»[1]، حيث لا تكتمل الشخصية دلاليا إلا بوساطة تجميع القارئ لمختلف المحمولات السردية التي تتخلل حركية وصيرورة الحدث،« وبذلك تبقى رهينة هذه المعاني والوحدات الدلالية الصغرى، التي تبدأ ببداية الحكاية، وتنتهي بنهايتها»[2]، وبخاصة أن الشخصية/ العلامة محكومة بالسياق النصي العام الذي يتمظهر عبر مستوى قرائي منتج وهو يتباين والسياق المسبق المحدد سلفا إذا تعلق الأمر بعلامة الشخصيات المرجعية (التاريخية/ الأسطورية).

إن مدلول الشخصية أو قيمتها، بمفهوم" دي سوسير"، لا يتشكل فقط من خلال موقعها داخل العمل السردي(فعلها)، ولكن من خلال شبكة علائقية تنسجها مع بقية الشخصيات الأخرى إنها تدخل في علاقات مع وحدات من مستوى أدنى(بنية الممثلين)، أو وحدات من مستوى أعلى(بنية العوامل).

ففيما يخص بنية الممثلين، فإن مستوى التحليل والوصف يقف عند حدود ما هو معطى من خلال التجلي النصي، أي البنية السطحية للتشكيل اللغوي، بهدف الكشف عن الأساليب التي يعتمد عليها الكاتب في التمييز بين الشخصيات الروائية على مستوى السرد.

حيث يتم دراسة الاسم/ الدال المواصفات المميزة، الأدوار الثيمية، المؤدية إلى تحديد سلسلة من المحاور الدلالية(3)، خاصة أن إستراتيجية توزيع هذه المحمولات السردية، لا يقل أهمية عن دورها وفاعليتها في إنتاجية المستوى الدلالي.

وفي ضوء هذا السياق سأحاول أن استقرىء بنية الممثلين من خلال رواية" غدا يوم جديد" قصد ملء البطاقة السيميائية للشخصيات- الممثلين-، بالاعتماد على مختلف المحمولات السردية المحايثة لصيرورة النص، حيث لا يتضح وجودها إلا بقدر ما تقدمه داخل مسار الحكي من وظائف وما يربطها من حوارات، ويمكن تلخيصها في علاقات التأثير والتأثر(4). مادامت الشخصية بنية لا تخرج عما هو لساني إذ« لا تنمو إلا من حوادث المعنى، أي من الجمل التي تنطقها هي، أو ينطقها الآخرون عنها».(5) سواء كان السارد أو الشخصيات المشاركة في صناعة الحدث الروائي.

أولا- بنية الممثلين:

1- الشخصية/ الاسم:

إن الشخصيات الروائية علامات لسانية، والعلامة من منظور علم العلامات وحدة لسانية متكونة من(دال/ مدلول)، دال حاضر، ومدلول غائب،« وهما مترابطان ارتباطا وثيقا، بحيث يقتضي وجود أحدهما الآخر»(6). والشخصية/ العلامة تتكون من هذين العنصرين، الدال/ الاسم والمدلول/ الحمولات الدلالية المندرجة بداخله. يقول فيليب هامون: « إذا كانت الشخصية مدلولا أي عنصر في علاقة كما هو الشأن في العلامة اللسانية، فإنها لا تظهر إلا من خلال دال لا متواصل(أي مجموعة من الإشارات التي يمكن تسميتها السمة)، وفي هذا الإطار فإن اختيار اسم معين لشخصية معينة عادة ما يتم انطلاقا من الوقع الذي يحدثه المظهر الصوتي للدال(...) وهذا المظهر(...) يساهم بشكل كبير في تحديد السمة الدلالية للشخصية»(7).

يشكل الاسم الشخصي أحد المحمولات الأساسية التي تنقل الشخصية عبر حركية القص من مستوى البياض الدلالي، إلى مستوى التعيين والتمييز عن باقي الشخصيات الأخرى، يقول توماشفسكي:« إن دعوة شخصية باسم خاص تشكل العنصر الأبسط من " التمييز"»(8)، حيث تقدم المادة الصوتية باختلاف مورفيماتها، للشخصية وحدة دلالية منتقاة من بين وحدات دلالية كثيرة، فالكاتب له إمكانية اختيار المظهر الصوتي ليجعل منه

علامة مميزة تسهم في تحديد ماهية الشخصية، غير أن السمة الدلالية غير مطروحة وفق تصور مسبق، بل تتحدد بالنظر إلى دور القارئ في استحضارها ضمن سياق النص العام.

ينفتح نص رواية" غدا يوم جديد" على تنوع المادة الصوتية المشكلة للشخصيات الروائية والتي تخضع للسمات الجمالية التي يختارها الكاتب، حيث وردت أسماء لشخصيات مألوفة في الواقع الاجتماعي(قدور، مسعودة باية، خديجة، محمد، حبيب، يمينة، باية، حليمة، عزوز). وإذا قاطعنا بين المستويين اللغوي والنصي فإننا نحصل على دلالة بعض الأسماء الأكثر حضورا وفعالية على مستوى المتتاليات السردية، كما يتضح مما يلي:

– مسعودة/ الدال: الشخصية المحورية التي تحمل على مستوى التسمية والتعيين إيحاء بالسعادة والتفاؤل وهذه الدلالة الإيحائية تتماشى ورغبتها الداخلية في تغيير الفضاء المغلق (القرية)، والانتقال والسفر نحو المدينة/ الحلم، غير أن تحقيق هذه الرغبة على مستوى القص يكشف عن التناقض الحاصل بين المستويين. حيث إن متاهة المدينة شكلت حافزا للهروب ثانية، والعودة بالذاكرة إلى قرية" الجبل الأحمر" فالشخصية لم تحقق السعادة، السمة الدلالية المعادلة للاسم/ الدال(مسعودة)، بل كان لمفهوم الشقاء والتشتت وفقدان التوازن الواقع الحقيقي، الذي لا يسمح بإقامة نظام من الترابط المباشر بين(الدّال/ المدلول)، وهذا بطبيعة الحال غاية من غايات الدلالة الإيحائية.

– قدور/ الدّال: اسم مفرد يوحي بالقدرة على الإنجاز والفعل، جعل من الشخصية كيانا تلتقي فيه معاني القوة، التهور، والاندفاع، التي تتعمق على مستوى النص تقول مسعودة: « قدور في مسائل الغيرة والغضب تنتقل الأوامر فورا من نظره إلى عضلاته. لا تمر بمخه».[9] وإذا تتبعنا المسار السردي للشخصية/ الاسم نكتشف هذه السمة الدلالية في مواقف وأحداث معينة، التي تشكل للقارئ مدلولا إيحائيا يعادل الاسم/ الدال، غير أن استحضار هذه السمة لا يقتصر الدور فيها على القارئ في التقاطع بين المستويين اللغوي والنصي، بل قد يملك النص ذاته صفة التعيين وإحالة الاسم/ الدال على معنى دلالي محدد.

استنطاق" قدور" من طرف الدركيين(الفرنسي/ العربي). يقول الراوي:« نوقش

في معنى اسمه. ماذا يراد باسم قدور؟ لماذا سمي بهذا الاسم؟ هل يعني ذلك تلميحا إلى القوة أم تذكيرا بعبد القادر(الأمير)؟».(10)

ومثل هذا التقابل بين الاسمين(مسعودة/ قدور) لا يشكل في بعده الدلالي سوى الإيهام بواقعية النص السردي، الذي يجنح إلى منح حركية القص سمة التعيين دون الإبهام والتعتيم الذي اتسمت به بعض شخصيات الرواية، حيث يرتبط مستوى تعيينها إما بوظيفتها الاجتماعية(الدركيين، القائد، نائب الحق العام، الصحفي الجزائري، الشامبيط، الحراس القاضي)، أو بمستوى الفضاء حيث تصبح الشخصية تعرف باسمه(رجل المحطة، شيوخ الزاوية) ومثل هذا التصور يدفع القارئ إلى البحث عن مدلول إيحائي يحقق به صفة تجرّد الشخصية من أحد المحمولات السردية" فرجل المحطة" شخصية كان لها الدور الأساسي في انحراف المسار السردي للشخصيتين مسعودة وقدور، وكذا في انتقال" قدور" إلى المركز لاستنطاقه وسجنه بالمحجر مدة ثلاثة أشهر. وعلى الرغم من هذا الحضور والفعالية على مستوى السرد، عكف الكاتب عن ذكر اسمه، بل تعمق هذا الرفض من الشخصية ذاتها، يقول الراوي للعجوز/ مسعودة:« إن الرجل الوسيم الذي كان يغدو ويروح بالمحطة يوم أن كنت مسافرة إلى الحلم،(...) صار الآن شيخا مسنا(...) إنه بصدد كتابة مذكراته، وأنه طلب مني أيضا أن أساعده في طبعها عندما ينتهي منها، لأن(المطابع كما قال أصبحت خاصة لا تطبع إلا للخواص!». (...) وأن الحبيب حكى له قصتك، وأنه يعلم جزءا هاما من حياة قدور بالسجن والمحجر. شيء واحد لا أقوله لك: من هو الرجل؟ ما اسمه؟».(11) يوحي هذا الإبهام بدور" رجل المحطة" وفعله الحركي بين ذهاب وإياب، من فضاء القرية إلى فضاء الزاوية حيث كشفت هذه الحركة عن منظور إيديولوجي ينم عن ارتقاء الشخصية في مستوى رمزيتها إلى الحركة التحريرية التي ظلت مبهمة الاسم والمكان اللذين شكلا شرطا أساسيا يضمن استمرار النشاط السياسي ضد سياسة الاستعمار.

أما بالنسبة للشخصيات ذات الأسماء المركبة(المخفي بن مرابط، الحاج أحمد) فهي تشير إلى إثراء وتنويع دلالة التسمية والتعيين ضمن المسار السردي، حيث تحيل هذه المزاوجة إلى منح الشخصية صفة الوقار والاحترام" الحاج أحمد"، أو انزياح وانحراف التسمية عما هو واقعي إلى ما هو تخييلي(المخفي بن مرابط) فالجزئية الأولى من الاسم

المركب" المخفي"« يدل على اسم أو شيء ما وقع عليه فعل الإخفاء، أي بمعنى انتقل من المعلوم إلى المستور، أو أنه لا يزال محتجبا غير معلوم بعد أما" المرابط" فلقب ديني لدى العامة، ويطلق على الشخص الذي يقرأ الغيب».[12] إن المزاوجة بين ما هو واقعي وتخييلي أسهم في خلق فضاء دلالي شاسع، جعل من اسم" المخفي بن مرابط" أكثر ثراء وانفتاحا على تعدد القراءات، حيث توحي السمة الدلالية للشخصية إلى دورها غير المرئي بالنسبة للفاعل المضاد، والتي تملك القدرة على خرق قوانينه ونظمه بمعرفة أسلوب تفكيره والتنبؤ باستراتيجيته الإستطانية، وهذه الإمكانية هي الصفة الحقيقية التي يفتقدها سكان القرية. يقول الدركيان:« إنه اسم معروف جدا، إنه عدو فرنسا وللحضارة ولكل ما يأتي من الغرب!»[13].

إن نص رواية" غدا يوم جديد" لم يجعلنا فقط أمام إيهام بواقعية الحركة السردية بوساطة صفة التعيين والتسمية، بل إن بلاغة الاسم المركب(المخفي بن مرابط) طرح كرؤية وموقف إيديولوجي، ومن هنا نصل إلى القول: إن الشخصية بنية يقوم النص بتشييدها أكثر مما هي معمار مفروض من خارج النص.[14] وهذه البنية لا تحقق لحظة بداية المسار السردي بل تتشكل من وحدات سردية موزعة على طول المساحة النصية يتكفل القارئ بتجميعها حتى تكتمل صورة الشخصية الروائية تركيبا ودلالة.

2- الشخصية العلاقة:

إن الشخصية بوصفها سندا لكل التحولات التي تطرأ على مستوى السرد، لا تدرك كوحدة دلالية إلا في علاقتها مع شخصيات الملفوظ الأخرى، تتحدد هذه العلاقة وفق روابط التشابه والاختلاف[15]، الناتجة عن التطابق أو التقابل بين شخصية تتميز بمواصفات قد تكون مشابهة، أو متباينة مع مواصفات شخصيات أخرى، وهي سلسلة من النعوت التي ينتج عنها عدد من المحاور الدلالية، التي تسمح بتشكيل السمة الدلالية للشخصية ضمن سياق النص الروائي.

إن وظيفة المواصفات داخل نسقية السرد تحدد الشخصية، سواء بالإحالة على نفسها، أو بالإحالة على مواصفات شخصيات أخرى مطابقة أو مختلفة. غير أن كلا الإحالتين لن تأخذ شكلها المتكامل إلا بالاستناد على المحمول الوظيفي، يقول سعيد بنكراد: « إن الوظيفة والمواصفة مرتبطان ارتباطا وثيقا، حيث سيكون بإمكاننا الانتقال من الوظيفة كفعل متحقق إلى المواصفة كفعل محتمل ومن المواصفة إلى وظيفة

كانتقال من الاحتمال إلى التحقق: مستبد: مواصفة تقود إلى وظيفة(استبد). استبد: وظيفة استبد تقود إلى مواصفة(مستبد) ...»[16]. وبهذا المعنى يتحدد الهدف من وراء قراءة المحمولات السردية (المواصفات/ الوظائف)، قصد إنتاج نسق علائقي بإمكانه أن يستوعب تنوع الشخصيات الروائية في" غدا يزم جديد" الموزعة على مجموعتين:

– المجموعة الأولى:(مسعودة، قدور، حبيب، رجل المحطة، باية، حليمة، يمينة، خديجة، محمد المخفي).

– المجموعة الثانية:(الحاج أحمد، عزوز، الدركيين، الشامبيط، القاضي، الأوروبية، نائب الحق العام).

تقوم المجموعتان على وجود علاقة تقابلية، تنضوي تحتها الشخصيات، تحددها في المقام الأول الثنائية الضدية(الرفض/ الرضوخ وتمثل سلطة الأنا الأعلى)، المعادلة (لشخصيات المجموعة الأولى/ شخصيات المجموعة الثانية)، وكل مجموعة تشكل فيما بينها نسقا علائقيا قد يكون متشابها، أو متقابلا، ونظرا لهذا التعدد والتنوع، سأقتصر على بعض الشخصيات الأكثر حضورا على مستوى بنية الممثلين المعطاة من خلال عناصر التجلي النصي(المواصفات/ الوظائف) التي سأحددها من خلال الجدول التالي:

المجموعة الأولى				
الشخصيات	المواصفات			الوظائف
	الوصف الخارجي	الانتماء الفضائي	الانتماء الإيديولوجي	أفعال متحققة
مسعودة	- حذاء البيرني المسمر - السلخ	قروية/ مدنية	شخصية رافضة للانتماء ⇐ شخصية مستغلة ⇐ على المستوى الجنسي والوظيفي	عاملة بالبيوت الأوروبية
قدور	- سروال أزرق، قندورة بيضاء، منديل يشده على شاشيته.	قروي/ مدني	شخصية رافضة للإنتماء القروي ⇐ شخصية مستغلة ⇐ على المستوى الوظيفي	حمال بالميناء
حبيب	- قندورة بيضاء، سيئة الخياطة، ضيقة، يلتحف بقماش يغطي رقبته ورأسه.	قروي	شخصية واعية/ رافضة على مستوى الفكر	طالب بالزاوية
رجل المحطة	- جبة جميلة، حسنة الخياطة والتفصيل، طربوش أحمر.	قروي	شخصية واعية/ رافضة على مستوى الفكر والحركة	جمع التبرعات للزاوية

يرسم لنا الجدول صورة واضحة لكينونة كل شخصية على مستوى الوظائف والمواصفات التي تتدرج ضمن سلسلة من المقارنات بينها وبين الشخصيات الأخرى، إذ توحي وفرة المواصفات خاصة الخارجية(اللباس)، إلى محاولة ارتقاء السرد بالشخصيات إلى مستوى الإيهام بواقعية النص الروائي، غير أن الوصف في هذه الرواية لا يقف عند حدود دلالة معينة، ولكنه يخلق دلالة في علاقته بالشخصية، فقراءة النص الوصفي هي تحديدا قراءة النص في كليته.(17)

وهذا ما يتضح من خلال التجلي النصي(المواصفات) التي كشفت عن مدى ضعف الشخصيات ورضوخها لسنن الفضاء الجغرافي، الذي يطرح داخل النسيج السردي كإطار يملك عناصر وصفية تسهم في تحديد ورسم ماهية الذات وتميزها عن باقي الشخصيات، ومن منطلق علاقة التأثير والتأثر بين الشخصية والمحيط، يصبح المظهر الخارجي صفة معلنة عن مرجعية الذات لفضاء الانتماء، فحذاء البيرني المسمر، المنديل، قندورة سيئة الخياطة، هي أشياء مفروضة على الشخصيات بفعل الفقر، الحرمان، وسوء الواقع المعيش، والتي تشكل في مجملها البعد التصويري للفضاء الموصوف، في المقابل، يوحي المظهر الخارجي" لرجل المحطة" عن حرية الاختيار، النابعة عن ارتقاء المستوى الاجتماعي والوسط الفضائي والانتماء الطبقي.

إن ما يجعل من عملية إرساء الفضاء داخل حركية السرد أمرا ممكننا هو فردنة الممثلين[18]، ذلك أن المكان يرتقي إلى مستوى الفضاء بحضور ممثل يؤنسنه ويفضي عليه خصوصيته، وهذا ما يتضح من خلال مستوى الانتماء الفضائي(القرية/ المدينة)، فإسناد مواصفة قروي أو مدني لمجموع الشخصيات مرتبط بالفعل والحركة، فالفضاء القروي كان مجالا لممارسة الممثلين سواء لفعل الهروب والسفر(مسعودة/ قدور) (حبيب)، أو للفعل التحرري(رجل المحطة).

أما الفضاء المديني فكان مجالا لتحقيق مستوى الحلم، وعلى هذا الأساس تطرح الوظيفة الأساسية للفضاء، فهو فضاء مبني، يتحدد من خلال فعل السرد وخارج هذا الفعل لا يمكن الحديث عن وجود سيميائي للفضاء، لأننا آنذاك سنكون أمام موضوع موجود خارج مدار التجربة الإنسانية[19].

إن الانتماء الفضائي يؤدي إلى مقابلة الشخصيات فيما بينها،" فمسعودة وقدور" ينطلقان من تصور أيديولوجي رافض للانتماء القروي بوساطة السفر والانتقال إلى المدينة، التي تحولت فيها" مسعودة" إلى شخصية لا منتمية، تندرج ضمن فئة المستغَلين سواء على المستوى الوظيفي أو المستوى الجنسي، أما" قدور" الممثل فهو مستغَل وظيفيا، من هنا يطرح محور الجنس(الذكر/ الأنثى)[20]، حيث تتحدد نوعية الاستغلال وفق هذا المحور الدلالي.

إن تحديد المستوى الوظيفي يخضع لسنن النص الروائي، بحيث لا يمكن تصور

وجود شخصيات تمارس الدور نفسه، بل إن التوزيع الوظيفي تفرضه مقروئية واستراتيجيه النص العامة المبنية على وجود نص" فني" معادل لنص أيديولوجي يوجهه، ويحقق له نمط وجوده[21].

وبالاعتماد على مواصفة الشخصيتين(مسعودة/ قدور)، يبرز لنا النص رؤية تتمحور حول وجود سلطة تنظيمية تتحكم في توزيع وتحديد نوعية الوظائف، وبناء على هذا الطرح نخلص إلى تقابل ثنائي بين:

مستغِلة ←—— الشخصيات الحاكمة(م) مستغَلة ←—— الشخصيات المحكومة. ←——

واستنادا على المقارنة بين الشخصيات الروائية من خلال المستوى السطحي للتركيب اللغوي، نصل إلى روابط التشابه دون الاختلاف بين شخصيتين روائيتين تنتميان للفضاء نفسه،(حبيب/ رجل المحطة)، كما يتقاطعان ورؤية العالم، وهذا انطلاقا من كون الشخصية ليست أكثر من وجهة نظر خاصة للعالم ولذاتها.[22] وبالنظر إلى كينونة الشخصية القروية " حبيب" نجد أنها تشكل بؤرة الوعي القروي الحاضر على مستوى التفكير والمونولوج الداخلي، غير أن غياب هذا الوعي، الذي بإمكانه أن يبرز على مستوى الحوار بين الأنا والآخر، جعل من" حبيب" شخصية انهزامية، غير فاعلة بالمقارنة مع مستواها الثقافي والاجتماعي.

شكّل التناقض بين تفكير الشخصية الداخلي وسلوكها نقطة ارتكاز حول السرد، من خلالها ظهر التوازن بين الباطن والظاهر، بوساطة تصعيد الوعي والشعور بالمسؤولية، عن طريق الحركة التي تقع على مستوى رؤية القرويين، خاصة أن" الرفض" لإيديولوجية السلطة الاستعمارية التي تنطلق دائما من مستوى الوعي الذي تعمق أثناء دراسة" حبيب" بالزاوية، يقول رجل المحطة:« في منتصف السنة الدراسية تقريبا تعرض لأزمة أخرى حادة، لكنها صحية ثقافية(...) كان موضوع الدرس الخلاف بين المذاهب الكلامية حول قضية حرية الإنسان(...) فوقعت بين الشيخ المدرس وبين حبيب مشادة كبيرة(...) في النهاية، أخرج الحبيب من حلقة الدرس(...) في السهرة لم يعد دروسه (...) سألته عن ذلك فقال باقتضاب(...) سأغادر الجزائر نهائيا وأهجر العربية وكل ما هو عربي! (...) حاولت أن أستثير عواطفه الوطنية فقلت له: ذلك بالضبط ما تبحث عنه فرنسا! (...) ثم قال لي بهدوء قاتم، كمن يحدث نفسه:« أتدري إنني لا أسخط، على ذلك الأمي وحده. إنني ساخط على نفسي ومولدي وعلى الحياة بما فيها! إننا ندرس

مذاهب وأفكارا من القرن العاشر واختزلنا عشرة قرون كاملة من التطور البشري!»[23]، يحيل هذا المقطع السردي على مواصفة تعد الوجه المشخص للانتماء الأيديولوجي (الوعي/ الرفض)؛" فحبيب" شخصية وطنية رافضة لمضمون الدروس بالزاوية التي لا ترتقي بالقرويين إلى مستوى معرفي وثقافي، يرفض الفكر الخرافي والأسطوري.

إن مواصفة" وطني" المعادلة" للوعي/ الرفض" تحققت بالاعتماد على مواقف محددة« ذلك، أنه من الصعب جدا– انطلاقا من لقطة واحدة– استنساخ مواصفة متطابقة مع سلوك معين. وعليه فإن تراكم مجموعة من اللقطات هو ما يسمح للقارئ بإسناد مواصفة لهذه الشخصية أو تلك تتناسب والسلوك الذي صدر عنها»،[24] لذا كان لتركيز الأحداث – في أكثر من موضع سردي– على جوانب من حياة" حبيب" الهدف الرئيس لتحديد كينونة الشخصية، سواء على مستوى(المواصفات) أو(الوظائف).

يقوم النسق العلائقي بين" حبيب" و" رجل المحطة" على تنوع وإثراء هذا النسق، الذي يمنح للسرد إمكانية إضفاء مواصفات التشابه(الانتماء الفضائي/ الانتماء الإيديولوجي)، ومواصفات التقابل التي تقوم على عنصرين؛ عنصر المعرفة وعنصر الفعل:

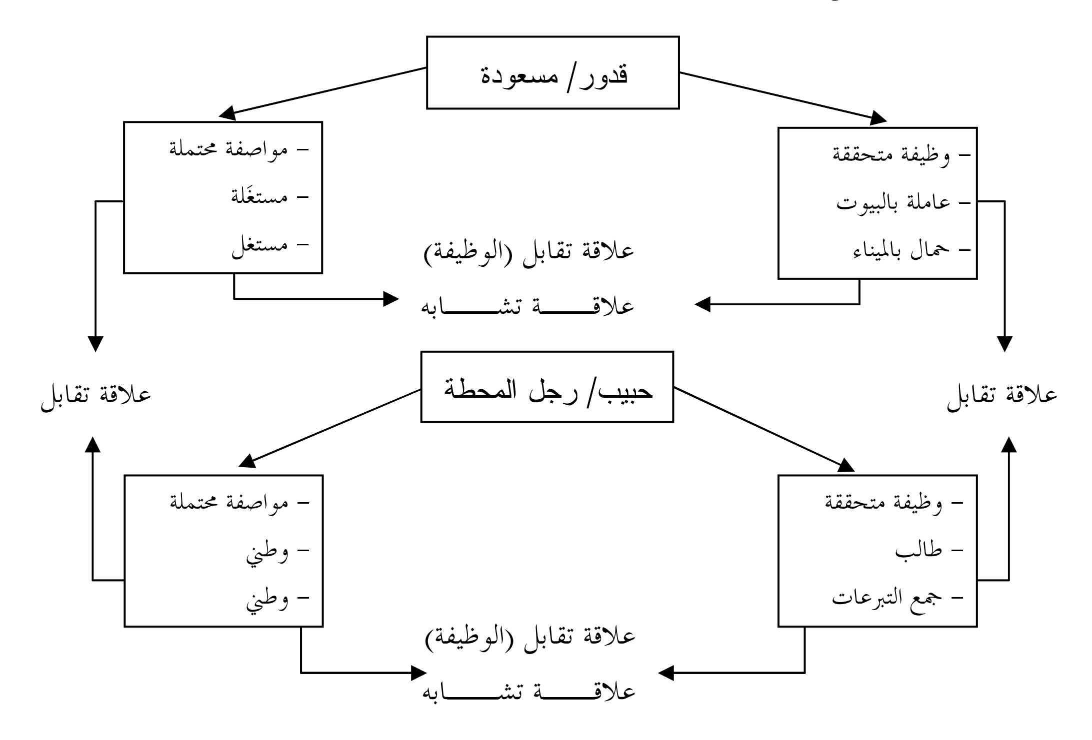
– المعرفة: يرتبط هذا العنصر" بحبيب" المالك لقدرة التعبير اللغوي والإفصاح عن أفكار ومفاهيم انتقلت من مستوى التفكير الذاتي إلى مستوى خلق حوار بين شخصيات الملفوظ الأخرى.

– الفعل: وهو المعطى من خلال التجلي النصي(جمع التبرعات للزاوية)، فهو تجسيد لرؤية تحيل على مرجعية السنن الثقافية التي حولت شعور الشخصية" بالوطنية" من مستوى المعرفة المجردة إلى مستوى الفعل والحركة. ويفضي هذا التقابل بين الشخصيتين إلى المحمول الوظيفي(طالب/ ممارسة النشاط السياسي)، فالوظيفة الأولى متحققة، تم تعيينها داخل النص، أما الثانية فهي مضمرة برزت كفعل محتمل اعتمادا على المدلول الإيحائي. ووفق هذا الطرح نخلص إلى أن شخصية" رجل المحطة" حددت بوظيفتين، إحداهما غائبة على مستوى الفعل السردي(ممارسة النشاط السياسي)، وأخرى حاضرة ومتحققة داخل النص الروائي(جمع التبرعات للزاوية).

إن توزيع المواصفات والوظائف للمجموعة الأولى من الشخصيات لا يقل أهمية

عن نمط اشتغالهما إذ ترتبط المحمولات ارتباطا وثيقا فيما بينها، وهو ارتباط يخضع لإستراتيجية نص الرواية" غدا يوم جديد" وإذا حاولنا تتبع أسلوب النص في الانتقال من الوظيفة كفعل متحقق، إلى المواصفة كفعل محتمل، نحصل على العلاقات التالية:

المجموعة الأولى:



نلاحظ من خلال علاقات المجموعة الأولى أن أيديولوجية الرفض– سواء على مستوى الحركة أو الفكر– هي التي تتحكم في النسق العلائقي بين ممثلين تتباين فيما بينهم عناصر التجلي النصي، كما تتقاطع وتتشابه.

المجموعة الثانية :

المجموعة الثانية				
الشخصيات	المواصفات			الوظائف
	الوصف الخارجي	الانتماء الفضائي	الانتماء الإيديولوجي	أفعال متحققة
الحاج أحمد	البرنس، الجبة، العمامة	قروي	شخصية واعية غير رافضة ⇐ رجعية	∅
عزوز	∅	قروي	شخصية واعية غير رافضة ⇐ رجعية ⇐ إقطاعية	تاجر
الدركيين (العربي/ الفرنسي)	- بدلة الكاكي - القبعة - المسدس	قروي فرنسي	شخصيتان رافضتان للهوية الجزائرية ⇐ القمع والاستغلال ⇐ مستبدان	الاستنطاق

إن تحديد المحاور الأساسية التي تحكم شخصيات المجموعة الثانية، تتطلب دائما وضعها داخل نسق دلالي يعطي معنى لكل مواصفة أو وظيفة[25]، وعلى هذا الأساس تتحدد المحمولات السردية المتعلقة بشخصية" الحاج أحمد"، التي تتطابق والانتماء الفضائي لكل من" عزوز" و" الدركي الجزائري"، وتتباين على مستوى الرؤية لإيديولوجية المعادلة للثنائية الضدية(واع /غير رافض).

إن سلسلة الأحداث المتعلقة بمشروع السفر إلى مدينة الجزائر(قدور/ مسعودة)، وفشل هذا المشروع، مرتبط بحضور" الحاج أحمد" كمشارك في الحدث(أخذ مسعودة لبيته)،(مراوغته أثناء الاستنطاق حتى يحيل بين الدركيين وبين الوصول لهوية" رجل المحطة")، وأصبح هذا الحضور المتميز نقطة أساسية تؤدي بالقارئ إلى تشكيل كينونة الشخصية، التي تتم في جانب منها عن مستوى وعيها بحقيقة الوضع السياسي، الاجتماعي، الثقافي. ونتيجة لهذا الوضع القائم على القوة والاستبداد يتحدد منظور" الحاج

أحمد" بالنسبة لطلب" حبيب"(السفر إلى الزاوية). يقول:« الحج لا بد منه. والقراءة متوفرة هنا بالقرية: سيدي الخليل، البردة، التجويد، .... يا خيرك يا ربي! ثم أنك قرأت سنوات في المدرسة الفرنسية، في ذلك ألف بركة! العلم بلا عمل كالشجرة بلا ثمر.(...) ثم ماذا تريد بكل هذه القراءة؟ تحكم الجزائر؟ الجزائر يحكم فيها من يحكم(...) ولا بد أن تعرف أن قراءة العربية تجلب لنا الضرر أكثر من النفع، ابن باديس نفسه لا يستطيع أن يجد عملا لدى فرنسا ولو أراد ذلك!»،[26] يفسر هذا المقطع وجهة نظر" الحاج أحمد" الرجعية، التي تتأسس حول التشبث بمتطلبات الحياة الأساسية(العمل– الحج– الصلاة– قراءة القرآن). دون البحث عن طرق للتعبير واستيعاب بعض القيم التي تخلق الشعور بضرورة الرفض وعدم الرضوخ. وانطلاقا من هذا التصور تتوضح معالم المجتمع القروي، التي تحيل على مواصفات غير قابلة للتطور مادام المحمول المواصفاتي لصيق بشخصيات ثابتة، لا تملك القدرة على الفعل التحرري الذي من شأنه أن يحول المواصفة من السلبية إلى الإيجابية، ويعتبر هذا التقابل معادلا لمحمول وظيفي مزدوج: وظيفة تستعبد الشخصية وتجعل منها فردا مستغَلا وأخرى فاعلة تسهم في تصعيد النشاط التحرري.

إن غياب التحديد الوظيفي لشخصية" الحاج أحمد"، يؤكد ارتكاز النص على المواصفات أكثر من ارتكازه على الوظائف، وهو غياب يفسر موقع الشخصية ضمن نسقية الفضاء الجغرافي(القرية)، فبالنظر إلى المستوى المعيشي المترف(حسن تأثيث المنزل) مقارنة بالقرويين، يفترض وجود محمول وظيفي يشكل مصدر رزق عائلة" الحاج أحمد"، غير أن إضمار السارد للوظيفة حال دون الإشارة إلى نوعية الفعل الممارس، بل قد يتم استحضاره اعتمادا على عملية تأويل المادة القصصية« المتعلقة بكينونة الشخصيات المعطاة بطريقة مباشرة من طرف الشخصية نفسها، أو بطريقة غير مباشرة، من خلال تعاليق شخصيات أخرى أو من طرف المؤلف»[27].

يتميز" الحاج أحمد" عن باقي شخصيات المجموعة الثانية بعمق التجربة، يقول الراوي: « كل سكان القرية الإدارية يعرفون حنكته ويحترمونه(...) إنه رجل حكيم، في كل نزاع مستعص يدعى لتقديم الحلول الممكنة الملائمة، هو ليس رجل قانون ولا شريعة ولا سياسة، لكن تفكيره المتأني وملاحظاته الدقيقة وتجاربه علمته الوصول إلى الجوهر من أقصر طريق»[28].

ويقول" رجل المحطة":« جئت للاتصال بأعيان الناس، لجمع التبرعات إلى زاوية ابن الحملاوي وبما أن الحاج أحمد من أتباع الطريقة الرحمانية فقد اتصل به هو الأول، لأنه معروف بالتدين ومحبة رجال الطرقية»[29]. تخلق المادة القصصية انشطارا كما يبدو بين كينونة الشخصية والفعل؛ أي بين موقف" الحاج أحمد" من تعلم" حبيب" للغة العربية، وبين ما يوحي به المقطعان السرديان، غير أن السمة الدلالية للشخصية تتحدد انطلاقا من هذه المزاوجة.

يقوم الفعل السردي داخل هذا الانشطار بتعميق تردد الشخصية بين منظور رجعي ديني وبين الفكر التحرري، وهي إيديولوجية تحيل على المستوى الإيحائي إلى رؤية جمعية العلماء المسلمين التي ظلت إلى غاية بداية ثورة نوفمبر، تنطلق من فكرة تحصين الفرد ضد سياسة التنصير والتمسيح، بإرساء المقومات العربية الإسلامية، أما الفعل الثوري– في نظرها– فلن يتحقق إلا بتحصين وتثبيت هذا الانتماء. وإذا حاولنا ربط هذا التصور المعرفي عن" الحاج أحمد" بـــ" عزوز"، نكتشف مدى التقابل بين الشخصيتين على مستوى الرؤية، فإذا كان التقاطع يتمحور حول مواصفة" رجعي" المعادلة للتقابل الثنائي(واع/ غير رافض)، فإن مرجعية هذه المواصفة تعمق التباين والاختلاف؛" فالحاج أحمد" شخصية تتحدد من خلال القيم الأخلاقية والدينية، التي تشير إلى مستواه الفكري والمعرفي، أما" عزوز" فمحدد من خلال نظم الفكر الإقطاعي، وهي مواصفة تم استنساخها عبر جملة من المقاطع السردية التي تحدد في النهاية كينونة الشخصية. كما يتضح من خلال هذين المقطعين:

– المقطع الأول:« عزوز رجل صلب، عنيد قوي، كالمخفي لكن خصاله الحميدة خانته أمام محبة المال كل همه جمع المال،« يبيع أمه من أجل المال»(...) حتى رجال الإدارة الفرنسية أوروبيون« وأهليون» يعرفون نهمه وحبه المجنون للمال! لذلك فهو من هذه الناحية لا يشكل خطرا على السياسة الفرنسية»[30].

– المقطع الثاني:« عزوز بن المرابط يعرف قدورا، ويعرف بالخصوص أن له بستانا من أجمل بساتين الدشرة ذلك كل ما يملك(...) أما قدور فلا يعرف من عزوز إلا التحيات العابرة(...) كل من تحدث عن عزوز نصحه بالحذر منه. قالوا له:(...) إذا قال لك: القمح القديم أفضل لا تقبل نصيحته،(...) ثم إنه كباعة الأسواق يقترح سعرا ويبيع بآخر.

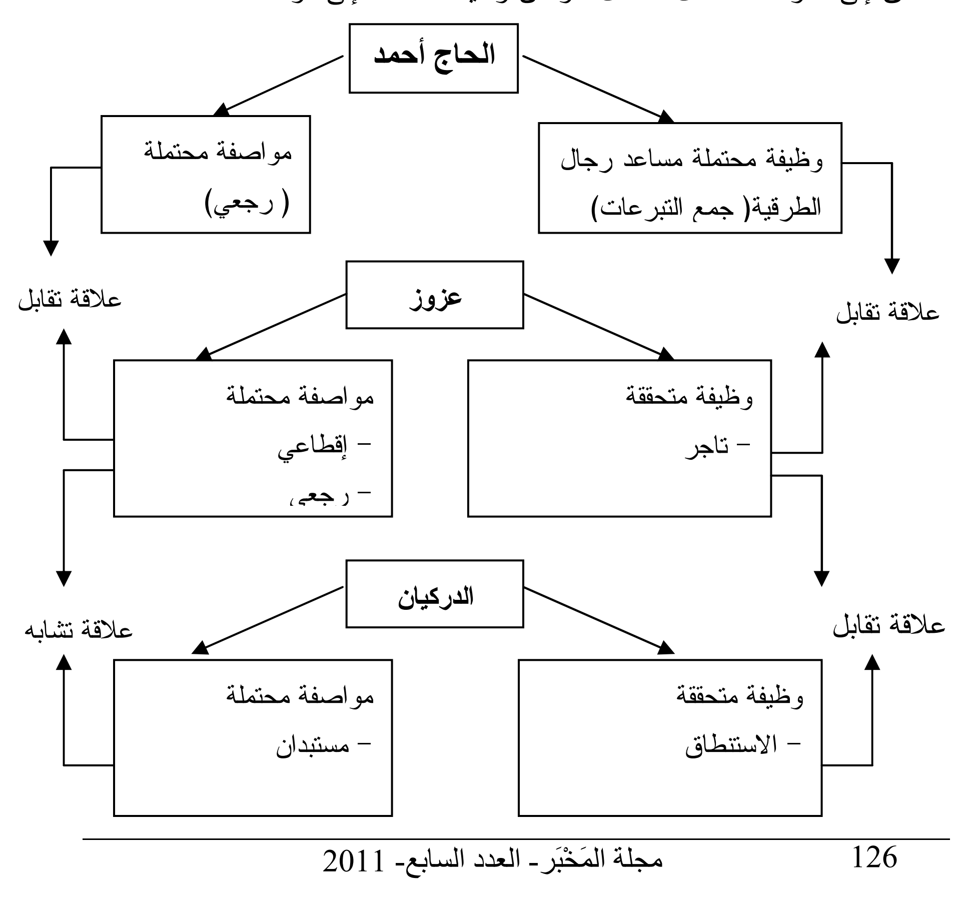
ومهما كان السعر الذي تتفق معه عليه فتأكد أنك اشتريت بأغلى من السعر العادي»[31]. يعمق المقطعان السرديان مبدأ التقابل بين" الحاج أحمد" و" عزوز" على مستوى المرجعية الثقافية، غير أن حركية السرد تكشف للقارئ عن مستوى تقاطع ثان يتضح من خلال سعي الشخصيتين إلى تبرير سلوك" قدور" في اعتدائه على" رجل المحطة"، سواء أمام الدركيين (الحاج أحمد)، أو عن طريق الاتصال بشخصية" القائد" كسلطة تمثل القانون ونظم العلاقات(عزوز).

تشير الرغبة في الفعل على المستوى الدلالي إلى فاعلية الشخصيتين، غير أن المرجعية الثقافية– التي سبق ذكرها– لها دورها الأساسي في معرفة كنه وحقيقة هذا الفعل، فبالنظر إلى كينونة" الحاج أحمد" على مستوى المواصفات والسلوك، نكشف القيمة الدلالية للشخصية، التي وإن لم تتحدد وظائفيا، فإنها تنم عن موقعها وقيمتها الإيجابية بين القرويين، وهذا عكس ما توحي به مواصفة" عزوز" الإقطاعي، إذ كل حركة تخفي مشروعا سرديا يضمن له الحفاظ على مصالحه ونفوذه.

نلاحظ أن كل شخصية تحيل على عالمها الخاص، الذي تبدو من خلاله وحدة دلالية قابلة لوصف عناصرها، والتي لن تأخذ صفة التميز إلا بوجود تداخل وتقاطع بين باقي الشخصيات المنتمية للمجموعة نفسها، وبخاصة أن تلك العناصر المميزة لأي ممثل ليست سهلة التحديد، إنها تخترق مجموع الحكي، وتقع في مستوى يتجاوز الجملة[32]. وهذا ما يتضح من خلال التوزيع الإستراتيجي للمحمولات الوظيفية والمواصفاتية على امتداد مساحة نص رواية" غدا يوم جديد"، وهو توزيع يعطي للقارئ الدور في عملية تشكيل أحد البنى السردية بوساطة تجميع كل العناصر التي تحيل في نهاية المسار السردي على كينونة كل شخصية روائية تقول نبيلة ابراهيم:« إن الشخصية أصبحت محصورة في اللغة، وهي تقف متوازنة وراء الكلام الذي يوحي بأن هناك من يقول ومن يشهد، ويعلق بلغة تتسم بعدم الثبات وعدم التحديد، ولم يبق بعد ذلك سوى أن نبحث عنها في الكلام الممتد والمتقاطع، وفي كل ما يقدمه النص القصصي من أساليب المراوغة اللغوية»[33].

إن الإشارة إلى وجود ممثلين يتحركون ضمن إطار زمكاني، هو إقرار بدور اللغة في تحديد السمة الدلالية لكل ممثل. والتي تنتجها عناصر التجلي النصي (المواصفات/ الوظائف) فإسناد وظيفة" الاستنطاق"" للدركيين"، خاضعة

لاختيار محدد يتماشى ومرجعية الشخصية في ذهن القارئ بحيث لا يمكننا أن نقوم بإلصاق هذه الوظيفة لأي شخصية من شخصيات المجموعة الأولى أو الثانية، ذلك أن مقروئية نص ما تتحقق بوجود تطابق بين الممثل وفضائه الأخلاقي المقبول من لدن القارئ[34]. وقد يكون فضاء لا أخلاقيا، فمعاني القمع، الاستغلال التي تحيل على مواصفة" مستبد" تتطابق والمحمول الوظيفي" الاستنطاق"، وهذه الكينونة للشخصيتين (الدركي الجزائري/ الدركي الفرنسي) لا تخترق المرجعية الثقافية للقارئ، وبخاصة أن الإطار الزمكاني(فترة الاحتلال/ قرية الجبل الأحمر). لم يبق إطارا منفصلا عن الممثلين[35]، إذ محدودية حركة القرويين ضمن الفضاء الجغرافي مرتبطة بحضور سلطة تعسفية تحاول تثبيت وجودها، عن طريق السيطرة، وهي رؤية تنسجم وأيديولوجية الشخصية الإقطاعية" عزوز". وانطلاقا من قراءة النسق العلائقي للمجموعة الثانية، وفقا لروابط التشابه والاختلاف، نخلص إلى أسلوب النص في الانتقال من الوظيفة كفعل متحقق إلى المواصفة كفعل محتمل، أو من وظيفة محتملة إلى مواصفة محتملة.



يتجلى الممثلون(المجموعة الأولى والثانية) على المستوى السطحي للتركيب الخطابي كوحدة معجمية ظاهرة من خلال التجلي النصي(المواصفات/ الوظائف) المنتجة لوحدة العوامل، ذلك أن العامل ينفجر إلى عدد لا محدد من الممثلين، وإحصاء الأدوار التي يقوم بها هؤلاء الممثلون داخل النص السردي، وتجميعها في دوائر محددة هو ما يسمح بالارتقاء مجددا إلى مستوى العامل[36]. وهذا ما سأحاول توضيحه من خلال الانتقال من المستوى المحسوس والمعطى، إلى المستوى المجرد.

ثانيا– بنية العوامل:

إن الشخصية كبنية من بنيات النص السردي تملك، وفق التصور السيميولوجي وجودا مفردا له صفة التميز عن باقي شخصيات الملفوظ الأخرى، بوساطة الاسم/ الدال، والمحمولات السردية(المواصفات/ الوظائف)، وهذه العناصر المتجلية نصيا هي التي تأخذ على عاتقها تجسيد بنية العوامل.« ذلك أن الوظائف هي الخالقة للعوامل وليس العكس كما يبدو ومن خلال المستوى السطحي، لذا فإن أية قراءة لبنية الشخصيات في عمل سردي ما ستكون قاصرة ما لم يطرح في أفق الإمساك بالمكون الدلالي الذي يقف وراء مجموع البنيات الأخرى»[37].

إن كل محمول من المحمولات السردية قابل للوصف والتحليل، غير أن معناه ووحدته الدلالية تكتمل باندماجه ضمن مستوى أعلى، وهو تصور يتقاطع ومقولة " مستويات الوصف" التي تعد عنصرا أساسيا في اللسانيات، يقول رولان بارت:« إن الجملة يمكن أن توصف لسانيا على عدة مستويات(صوتيا، نحويا، سياقيا)، وهذه المستويات توجد في علاقة تراتب، لأن أي واحد منها لا يمكنه بمفرده أن ينتج المعنى، فالوحدة الصوتية بالرغم من قابليتها في ذاتها للوصف، فإنها لا تعني شيئا ولا تصبح طرفا مشاركا في المعنى إلا عند اندماجها في الكلمة! والكلمة نفسها عليها أن تندمج في الجملة»[38].

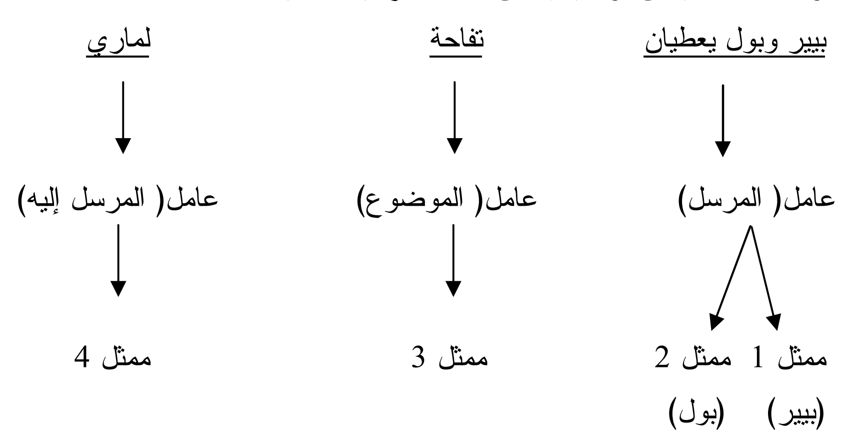
تتحدد العلاقات إذن، وفقا لهذا التصور بين وحدات مدمجة، قابلة للوصف والتحليل، هي بنية الممثلين، وبين وحدات مستترة تحدد بنية العوامل[39]. وبهذا ترتقي مقروئية الشخصية/ الممثل من المستوى المحسوس والمعطى إلى المستوى المجرد.

يعرف العامل" أو الوظيفة" في اصطلاح" سوريو" Archypersonnage أو في اصطلاح" لوتمان" فئة من الممثلين، من الشخصيات، محددة بمجموعة من

الوظائف الدائمة، والمواصفات الأصلية، وكذا بتوزعها على النص الروائي بأكمله[40]. وتأكيدا على التداخل والتكامل الموجود بين البنيتين(العوامل/ الممثلين) على مستوى القراءة والتحليل. يشير" فيليب هامون" إلى مثال توضيحي: بيير وبول يعطيان تفاحة لماري.

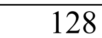
نلاحظ أن هذه التفاحة تتضمن ثلاثة عوامل: المرسل(بيير وبول)، الموضوع (تفاحة)، والمرسل إليه(ماري)، في حين يقترح علينا المعطى النصي، أربعة ممثلين (بيير، بول، تفاحة، ماري)[41].

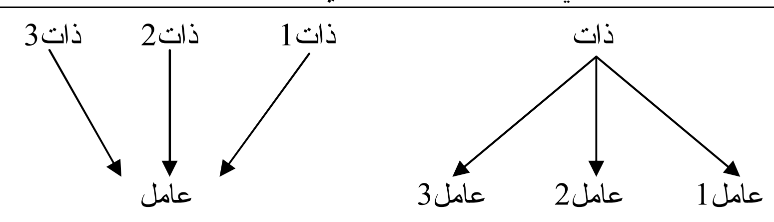
وهذه العلاقة يمكن توضيحها من خلال الترسيمة التالية:



إن الشكل العاملي لمقطع ما هو بنية ثابتة نسبيا، مادامت مستقلة عن تشخيصات الممثلين(تفاحة أو ماري)، وعن الرقم الحقيقي للشخصيات المتجلية(بيير وبول)، وعن التقلبات(ماري حصلت على تفاحة من عند بيير وبول)، وعن التحولات(تفاحة أعطيت لماري من عند بيير وبول).[42]

تشير ترسيمة" فيليب هامون" التوضيحية لتصور" غريماس" حول العوامل/ الممثلون، فظهور العامل الواحد قد يأخذ عدة ذوات بارزة(ذات1، ذات2، ذات3)، والعكس صحيح، إذ يمكن لذات(ذات1) أن تكون تآلفا للعوامل المتعددة. (ع1، ع2، ع3)، وكما يمكن أن تساند وتعارض معا. مقترحا الترسيمة التالية:[43].





إن النموذج العاملي بوصفه صيغة تنظيمية لعناصر النص الروائي، وأداة لمعرفة هذه العناصر بإمكانه أن يصبح أداة فعالة في مقاربة النصوص، شريطة ألا نرى فيه شكلا معطى بطريقة قبلية أو نرى فيه بنية جامدة، ذلك أن النص السردي لا يتحدد إلا من خلال خصوصيته ونسقه، فقيمة النموذج العاملي لا تتحدد إلا بقدرته على المساهمة في إغناء معرفة القارئ بالنص.(44) وبناء عليه سأحاول من خلال البنية العاملية أن أحدد مختلف المسارات السردية، وكذا مستويات الانتقال من المحمولات السردية(الوظائف/ المواصفات) إلى العوامل كوحدة مجردة مستترة ذلك أن السمة الدلالية لبنية الشخصية في نص رواية" غدا يوم جديد" تتحقق بالانسجام بين بنية العوامل وبنية الممثلين.

1- مسعودة ومسار البحث المزدوج:

1-2- مسار الاستشراف/ الاسترجاع:

كشفت بنية الزمن والفضاء من خلال الفصل الأول والثاني، عن مسار مسعودة/ المرأة المتضمن لبرنامج سردي تحدده علاقة الرغبة(رغبة مسعودة/ المرأة في السفر إلى المدينة)، وقد شكل نواة مركزية استقطبت باقي الممثلين(المجموعة الأولى والثانية)، وهي رغبة تقوم على الاستشراف كمفارقة زمنية تحمل عنصري المفاجأة والغرابة.

إن تحقيق هذا المشروع يفترض وجود تحول انفصالي عن فضاء" القرية"، وهو ما يحيل عليه الانتماء الإيديولوجي(شخصية رافضة للانتماء القروي)، الحامل لقيم سلبية، الرتابة، الخصاصة، العذاب:

رغبة الذات(مسعودة) $\vee$ الموضوع(القرية) $\Leftarrow$ الانفصال

رغبة الذات(مسعودة) $\wedge$ الموضوع(القرية) $\Leftarrow$ الاتصال

إن إمكانية تحقيق المسار الأول يفترض وجود اتصال أولي بـــ" قدور" الممثل (الزوج) باعتباره الواسطة بين القرية والمدينة، ثم البحث عن عوامل تسهم في تحقيق محور الرغبة الذات/ العامل، واستنادا على المحمولات السردية للمجموعتين، نكتشف أن كينونة شخصية" عزوز" تشير إلى حضور ممثل يقوم بدور عاملي واحد

(مساعد)، على الرغم من أن مواصفة إقطاعي تجعل الفعل يرتبط بوجود برنامج سردي مضمر، يتجلى عبر تتبع القارئ للمسار السردي(الاستيلاء على بستان قدور، وقطعة الأرض التي ورثتها مسعودة عن والدها).

ويبقى عنصر المعارضة جليا على مستوى القراءة السياقية لبنية الممثلين، إذ تصبح(بدلة الكاكي القبعة، المسدس) عناصر الوصف الخارجي" للدركيين"، قيما للقمع والاستغلال التي تحولت إلى عامل معارض للمسار السردي الأول للذات/ العامل. وبإمكاننا وضع هذه العوامل ضمن الترسيمة العاملية التي اقترحها" غريماس"[45].

علاقة إبلاغ

المرسل ← الموضوع ← المرسل إليه

(القرية) (الذهاب إلى المدينة) (مسعودة)

علاقة

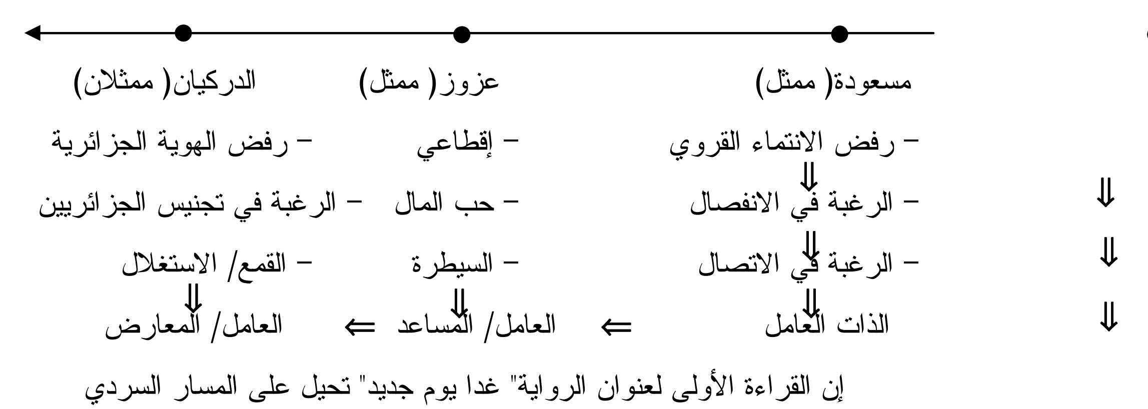
المساعد ← الذات ← المعارض

(عزوز) (مسعودة) (الدركيان)

علاقة صراع القبعة، المسدس، بدلة الكاكي

ووفق مستوى قرائي ثان يسعى إلى صياغة كيفية الانتقال من الممثلين إلى العوامل، أوضح ذلك من خلال الترسيمة التالية:

المسار السردي(السفر إلى المدينة)



إن القراءة الأولى لعنوان الرواية" غدا يوم جديد" تحيل على المسار السردي

الأول للذات/ العامل، باعتباره« بنية مستقلة تشتغل دلاليا في فضاء خاص بها»،[46] قابلة لإنتاج وحدة دلالية تتشابك وبنية النص الروائي، وهذا التجانس يستحضره القارئ بعد قراءة المورفيمات التي تتشكل منها هذه العبارة/ الجملة[47]، إذ تحيل لفظة" الغد" على أن الذات/ العامل لازالت تتعايش وفق أحداث ووقائع الزمن الماضي، الذي تستشرف من خلاله غدا مشرقا يحمل الأمل والتفاؤل، وهذه الثنائية تعادل محوري الرغبة(الاتصال/ الانفصال)، غير أن صورة فضاء الحلم كشفت عن زمن فوضوي أفقد" مسعودة" رغبتها في الاستمرار وسط تناقضات مدينة أسقطتها من سلم القيم الأخلاقية، لتصبح شخصية مستغَلة على المستوى الوظيفي والجنسي، وبهذا يتحقق التكافؤ السيميائي بين العنوان والمتن[48]،" فاليوم الجديد" بقدر ما يحفز الذات على انتظار الأفضل، بقدر ما يبقى مفتوحا على المجهول.

إن رواية" غدا يوم جديد" مفتوحة على كل الاحتمالات، فالماضي عند" ابن هدوقة" إيجابي رغم مآسيه، والحاضر سلبي غير مرضي، أما المستقبل ففيه إبهام وغموض. والعادة أن يكون الماضي سلبيا والمستقبل أكثر إيجابية، لكن فلسفة الكاتب الزمنية ناقضت هذه الفرضية، وهذا ما وضحه خطاب الرواية/ البنية الدلالية للنص الروائي.

وفي ضوء هذه المعطيات يتحدد المسار الثاني لمسعودة/ العجوز، وفق علاقة الرغبة:

رغبة الذات(مسعودة العجوز) $\wedge$ الموضوع(القرية) $\Leftarrow$ الاتصال.

رغبة الذات(مسعودة العجوز) $\vee$ الموضوع(المدينة) $\Leftarrow$ الانفصال.

لا يتحقق المسار السردي الثاني على مستوى حركة وانتقال" العجوز مسعودة" من القرية إلى المدينة، بل هو انتقال عبر الذاكرة والاسترجاع، الذي أعلن عن ميلاد قصة " مسعودة" وقرية" الجبل الأحمر".

2- حبيب ومسار البحث الأحادي:

إذا كان المساران السرديان الأول والثاني للذات/ العامل(مسعودة)، هو البحث عن حياة أفضل وإعادة التوازن، فإن مسار" حبيب" الأحادي هو الرغبة في إنماء وتجدد الذات القروية. إذ من منطلق البحث عن فضاء جغرافي معادل للحلم وللطاقة الشعورية لشخصية تنبذ حالات انعدام التوازن، يتجه محور الرغبة للذات/ العامل(حبيب) نحو حلم السفر إلى الشرق.« كان أول سفر قام به الحبيب في حياته، تمرد على أبيه

الحاج أحمد، كره حياته المتكررة بالقرية... مل الوجوه المتكررة والصور المتكررة والقراءة المتكررة».[49] إن هذه الوحدات الأربعة، التي وردت في شكل نعوت ستكون بمثابة حافز أولي يدفع الذات إلى البحث عن النقيض أي الذهاب إلى الزاوية والتخلي عن القرية، وهي تشكل مجتمعة حالة ملل[50]، وهذا ما يتضح من خلال الترسيمة التالية:

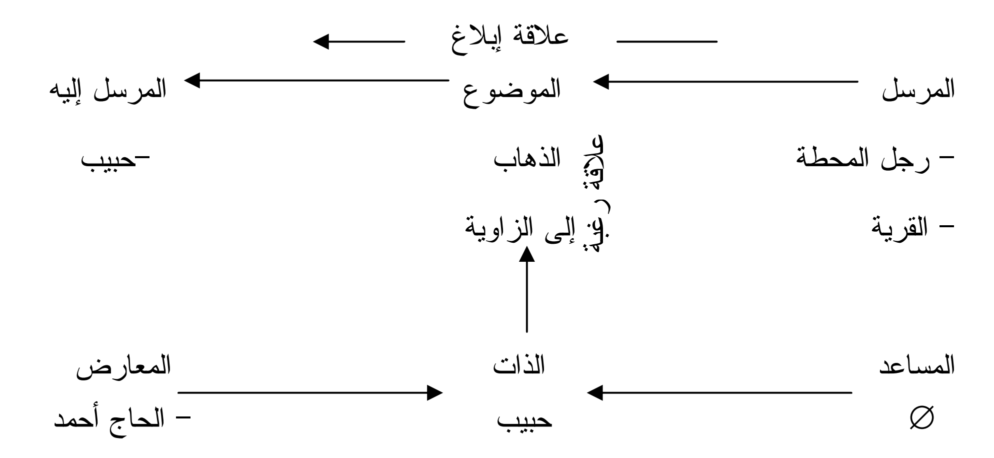
رغبة الذات(حبيب) $\vee$ الموضوع(القرية) $\Leftarrow$ الانفصال

رغبة الذات(حبيب) $\wedge$ الموضوع(الزاوية) $\Leftarrow$ الاتصال

إن الحديث عن مسار سردي خاص بـــ" حبيب" هو الحديث عن السنن الوظيفية والمواصفاتية لهذه الشخصية، إذ يتحول الانتماء الإيديولوجي(واع/ رافض) ومواصفة وطني التي تتقاطع والمحمول الوظيفي" لرجل المحطة"، إلى حوافز أساسية للعامل/ الذات في إنماء وتطور مستواه المعرفي، وهذه الرغبة تكشف في المقابل عن قيم فكرية وثقافية يتبناها القرويون، والتي تتمظهر من خلال رفض" الحاج أحمد" لمشروعه السردي من منطلق المحمول المواصفاتي" رجعي".

إن قرار" حبيب" بالانفصال هو قرار فردي، لذا لا نعثر على مساعد أو مساند لتحقيق علاقة الرغبة بين الذات/ الموضوع، والمرسل إليه ليس ممثلا آخر سوى" حبيب" نفسه. فكل نتائج السفر ستؤول إليه.

ويمكننا توضيح ذلك من خلال الترسيمة السردية التالية:



تشير الترسيمات الأولى والثانية للعوامل(مسعودة/ حبيب) إلى اكتفاء كل دور عاملي بممثل واحد باستثناف" الدركيين".

الذات العامل ←── مسعودة(ممثل)

المساعـــــد ←── عزوز(ممثل)

المعـــــارض ←── الدركيان(ممثلان)

الذات العامل ←── حبيب(ممثل)

المعـــــارض ←── الحاج أحمد(ممثل)

المساعـــــد ←── ∅

إن الانسجام بين بنية الممثلين وبنية العوامل يرجع إلى السنن الخاصة بالعمل الروائي، غير أن قيام كل ممثل بدور عاملي واحد ضمن الترسيمة السردية، يوحي للقارئ بوجود تصور أيديولوجي، يتأسس من خلال طرح التعارض بين الفكر الفردي والفكر الجماعي، وبخاصة أن الإطار الزمكاني للمادة القصصية، يفرض وجوب إلغاء تفكير كل ذات في مشروع سردي منفصل عن الآخر، وكذا منفصل عن الشعور بضرورة طرح مسار سردي مغاير يتجه محور الرغبة نحو تحقيق وحدة الوطن بالانفصال عن السلطة الاستعمارية، والاتصال بمختلف الشخصيات الروائية وعبر مختلف الفضاءات الجغرافية، قصد تشكيل فكر جماعي يملك القدرة على التجديد والتغيير.

إن الشخصية مورفيم مزدوج التمفصل، لا تمنح نفسها للقارئ لحظة بداية القص، بل هي عملية تجميع لعناصر التجلي النصي(الاسم، المواصفة، الوظيفة) وهي وحدات موزعة على طول مساحة النص الروائي، تملك القدرة على خلق مستوى أعلى يرتقي بها إلى مستوى بنية العوامل.

الهوامش:

(1) فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة: سعيد بن كراد، دار الكلام، الرباط، 1990، ص 28.

(2) عبد العالي بوطيب، مستويات دراسة النص الروائي، مقاربة نظرية، مطبعة الأميرية، دمشق، ط1، 1999 ص 47.

(3) المرجع نفسه، ص 10.

(4) محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 1990، ص 12.
(5) رونيه ويليك وأوستين وارين، نظرية الأدب، ترجمة: محي الدين صبحي، لمجلس الأعلى للثقافة، 1992، ص 13.
(6) فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان– العام– ترجمة: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، 1987،ص 87.
(7) فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص 09– 10.
(8) توماشفسكي، نظرية الأغراض، نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة: إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين، الدار البيضاء، ط1، 1985، ص 205.
(9) عبد الحميد بن هدوقة، غدا يوم جديد، منشورات الأندلس، الجزائر، 1992، ص 16- 17.
(10) المصدر نفسه، ص 53.
(11) المصدر نفسه، ص 196.
(12) شريبط أحمد شريبط، سيميائية الشخصية الروائية تطبيق آراء:" فيليب هامون" على شخصيات رواية غدا يوم جديد للأديب عبد الحميد بن هدوقة، السيميائية والنص الأدبي أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها جامعة عنابة باجي مختار، ص 218.
(13) عبد الحميد بن هدوقة، غدا يوم جديد، ص 59.
(14) فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص 51.
(15) المرجع نفسه، ص 31.
(16) سعيد بنكراد، شخصيات النص، البناء الثقافي، سلسلة دراسات وأبحاث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، ط1، 1994، ص 76.
(17) عبد اللطيف محفوظ، وظيفة الوصف في الرواية، دار اليسر للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط2، 1989، ص 49.
(18) سعيد بنكراد، شخصيات النص السردي، البناء الثقافي، ص 76.
(19) المرجع نفسه، ص 134.
(20) فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص 35.

(21) سعيد بنكراد، شخصيات النص السردي، البناء الثقافي، ص 157.

(22) ميخائيل باختين، شعرية دوستويفسكي، ترجمة: جميل نصيف التكريتي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1986، ص 67.

(23) عبد الحميد بن هدوقة، غدا يوم جديد، ص 224– 225.

(24) سعيد بنكراد، شخصيات النص السردي، البناء الثقافي، ص 170.

(25) سعيد بنكراد، شخصيات النص السردي– البناء الثقافي– ص 154.

(26) عبد الحميد بن هدوقة، غدا يوم جديد، ص 202.

(27) فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص 37.

(28) عبد الحميد بن هدوقة، غدا يوم جديد، ص 80.

(29) المصدر نفسه، ص 87.

(30) عبد الحميد بن هدوقة، غدا يوم جديد، ص 97.

(31) المصدر نفسه، ص 139.

(32) برنار فاليط، النص الروائي: تقنيات ومناهج، ترجمة: رشيد بنحدو، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، 1992، ص 87.

(33) نبيلة إبراهيم، قص الحداثة، مجلة فصول، العدد 4، أغسطس/ سبتمبر 1986، ص 97.

(34) فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص 60.

(35) سعيد بنكراد، شخصيات النص السردي– البناء الثقافي– ص 135.

(36) سعيد بنكراد، شخصيات النص السردي، البناء الثقافي، ص 76.

(37) فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص 12.

(38) رولان بارت، التحليل البنيوي للسرد، ترجمة: حسن بحراوي، وآخران، اتحاد كتاب المغرب، العدد 8– 9، 1988، ص 10.

(39) A.J, Greimas, sémantique structurale, P 122

(40) فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص 41.

(41) المرجع نفسه، ص 41.

(42) فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص 41.

(43) السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، دراسة سيميائية، غدا يوم جديد، لابن هدوقة، عينة، منشورات رابطة كتاب الاختلاف، الجزائر، ط1، أكتوبر، 2000، ص 15.

(44) سعيد بنكراد، شخصيات النص السردي، البناء الثقافي، ص 147.

(45) Greimass, sémantique structurale, Recherche de méthode, Larousse, 1966. P 180.

(46) محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص 08.

(47) يوسف الأطرش، دلالات العنوان، غدا يوم جديد، لعبد الحميد بن هدوقة، مجموع محاضرات الملتقى الوطني الثاني، قراءات ودراسات نقدية في أدب عبد الحميد بن هدوقة، ص 191.

(48) محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، ص 09.

(49) عبد الحميد بن هدوقة، غدا يوم جديد، ص 197.

(50) السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، ص 66.